

حدث الثقافة

شاهدٌ على العصر الذهبي لمدينة اسمها بيروت رفعت طريبيه: وزارة الثقافة في مقهى "هورس شو"

... و"رُفعت الستارة"، فإذا بزحمة وجوه واسماء تحتل كتاب رفعت طريبيه (1948) الجديد. الكتاب الاول والاخير على ما يقول الممثل المسرحي ذو الظل الخفيف والنكتة الحاضرة دوما، حتى حين يتحدث بمرارة عن بيروت عاصمة العواصم العربية التي اغتالتها الحرب الاهلية المشؤومة



الممثل والكاتب رفعت طريبيه.

عام 1973 دخل رفعت طريبيه "مدرسة بيروت للمسرح الحديث" التي اسسها الرائد منير ابوديس عام 1960، ليشترك لاحقا في اكثر من مئة مسرحية بتوقيع رواد المحترف المسرحي اللبناني، كما قدم عددا من الافلام، والبرامج الاذاعية والمسلسلات التلفزيونية. لكن يبقى المسرح ملعبه الاثير، هو الذي يصفه بأنه حضارة الشعوب.

"الامن العام" التقت طريبيه وحوارته في محتوى كتابه الذي استغرق ثماني سنوات من العمل، الى جانب الجديد الذي يقدمه في تشرين الاول في بيروت.

■ اخبرنا قصة هذا الكتاب؟

□ مثلما ذكرت في الكتاب حرفيا. انا اصل دوما قبل ساعتين من بدء اي عرض اقدمه، لاضر نفسي. انا احترم الجمهور، وأتي باكرا لاضر نفسي

جادا، اذ كنت اعتبر انني لا اعرف ان اكتب. في احد الايام، كنت جالسا ضجرا، فاخذت ورقة وقلم رصاص وبدأت بالاهداء الى جوليا، وسرت في الكتاب الذي استغرق ثماني سنوات. ما شجعتني اكثر انني اعطيت جزءا منه لآخي عباس، وهو مثقف كبير. قرأ ووافق على طريقة الكتابة. ثم اخذه الى تلميذه امين معلوف كي يقول رأيه فيه. معلوف كان تلميذ عباس في مدرسة "الجمهور" حيث كان عباس يعلم اللغة اللاتينية والادب الفرنسي وتاريخ الحضارات. هنا تشجعت اكثر. ايضا، اعطيت ريمون جبارة نصوصا من الكتاب لكي يبدي رأيه. كما ان نزيه خاطر عندما قرأ جزءا من الكتاب، قال لي انه سيكتب المقدمة لان الكتاب اعجبه كثيرا. لكنه توفي قبل الانتهاء. حين اريته لجلال خوري قال انه يريد ان يكتب المقدمة، فاذا الموت يأخذ جلال خوري قبل الانتهاء، ما دفعني الى اصدار الكتاب من دون مقدمة لانني تشاءمت من القصة.

■ حين نقرأ الكتاب نكتشف انك شاهد حقيقي على حقبة ثقافية كاملة، وانت قادر باسلوبك على ان تؤرخ لهذه الفترة الغنية والطويلة؟

□ بالنسبة الي، لم أؤرخ لنفسي بقدر ما ارتخت لبيروت عاصمة العرب الثقافية في فترة من الزمن. هذه بيروت العزيرة جدا، التي فقدناها في حربنا الحضارية، يجب ان يُكتب عنها كي يعرف الجيل الحالي والجيل المستقبلين اين اوصلتنا مناكفاتنا التافهة في السياسة. في الحقيقة، وقعت هذه الحرب من دون ان يسألنا احد عن رأينا. في هذا الكتاب، اردت ان اعيد الاعتبار الى بيروت التي اعتبرها اهم من لبنان، واهم من اي عاصمة عربية. مع الاسف، من دمر بيروت هي حروب الاخرين وحروبنا نحن ايضا، ولم تأخذ اي عاصمة عربية مكانها.

■ كم كان هاجسك كبيرا لتكون موضوعيا في نقل هذه التجارب التي تخص الذاكرة الثقافية؟

□ انا تعمدت ان لا اكون موضوعيا ابدا. اردت ان

اكون صادقا في نقل ما عرفته وعاشته. حتى اعز الناس الى قلبي، ووجهت اليهم انتقادات لاذعة في الكتاب بسبب مواقف معينة اتخذوها، خاصة من يتعلق منهم بالمسرح، لانني لست وحدي من عانى بسبب هذه المواقف، بل الكثير من العاملين في المسرح. مثلا، ربط المسرح بالمخرجين اعتبره كارثة حلت بالمسرح في لبنان لان المخرجين قلة، لكن العاملين في المسرح كثر. لذلك، حين يُربط المسرح بالمخرج، يسقط كل الذين عملوا في العرض الذي قام على اكتافهم. اذا استعدنا المسرح الذي حظي بانتشار وثبت وجوده في لبنان، لوجدنا انه ذاك المرتبط بالممثل. ظاهرة شوشو هي اهم ظاهرة، وجورج شحادة الذي يعتبر من اهم خمسة كتاب مسرح في العالم في القرن العشرين، قال خلال احدي الجلسات التي جمعتنا انه لن يبقى من المسرح اللبناني الا شوشو. مع الاسف، نحن لا نقدر اهمية شوشو، ورأيناها فقط في الاعمال التلفزيونية. شوشو في الاعمال التلفزيونية لا شيء امام شوشو في الاعمال المسرحية. شوشو الذي كان ممنوعا عليه ان يمر على رصيف معهد الفنون، يجب ان يدرس في جميع معاهد الفنون ليس فقط في لبنان، بل العالم لانه لا يقل اطلاقا عن تشارلي تشابلن، وهذا ايضا رأي جورج شحادة.

■ ككل الفنانين الكبار، يسأل الجمهور عن الاب والمعلم الذي اثر في رفعت طريبيه. نكتشف في الكتاب ان هناك اكثر من اب، يمكن ان نتحدث عن منير ابوديس، ويجب ان نتوقف عند حالة فريدة في حياتك وحياة الثقافة اللبنانية هي ريمون جبارة، فما رأيك؟

□ لا يمكن ان اسمي ريمون جبارة الاب. كان ريمون في الشق الحياتي رجلا حلو المعشر. انسان ذكي جدا، سريع البديهة. حين يكتب المسرح، كان يكتب لاشخاص بين يديه. يكتب لكميل سلامة ما يليق به، ولرفعت ما يلائم رفعت، ولرضا خوري ما يلائمها. حين كتب مسرحية "شربل"، كانت فعلا ظاهرة. اتعرف انه لم يكن هناك نص لـ"شربل" في البداية؟ كان يوزع على كل واحد منا ورقة. كان يقول لي رفعت احفظ هذه الورقة، وحين كنت اقول له اين موقعها في النص، كان يجيبني باننا سنرى ذلك لاحقا. ريمون كان عبقريا، خاصة في التأليف المسرحي. في الاخراج المسرحي، هناك الكثير من الاسماء ربما افضل منه. ◀

نقطة على السطر

شاهدٌ من أهلها...

فن المذكرات نوع ادبي على حدة بين الاصناف والمدارس والفنون. يجمع الشهادة والوثيقة، الى البعد التاريخي (المرحلة، لزمان، لعصر)، والبعد الادبي ايضا. اهمية كتاب المذكرات، غالبا ما يكون في لغته واسلوبه ايضا، خصوصا حين يتعلق الامر بادباء وفنانين ومبدعين. فهو، بين الاجناس الادبية المختلفة، يقف على حدة. اذ يجمع بين سمات وهويات مختلفة، ويقف في مكان ما بين التسجيلي والسرد، جامعا الخاص والعام، الذاتي والجماعي. واذا كانت مذكرات رجال السياسة والقادة والزعماء جزءا من تدوين التاريخ، بتفاصيله ومحطاته الحاسمة، ووثائقه المختلفة، تساعد على فهم الماضي ومواجهة الراهن واستقراء المستقبل... فان اهل الادب والفن يكتبون ايضا التاريخ على طريقتهم: ينظرون اليه من مسافة تسمح بالاستقراء والتحليل والانفعال، ومن زوايا ثقافية وفكرية واجتماعية اساسية.

هذا الجنس الادبي الذي خصه احسان عباس بدراسة مرجعية تحت عنوان "في فن السيرة"، اغنى المكتبة العربية خلال القرن العشرين بمؤلفات واعمال مهمة، يضيق المجال عن ذكرها. من ادوارد سعيد ("خارج المكان")، الى محمد شكري ("الخبز الحافي")، ومن ميخائيل نعيمة ("سبعون") الى عمر فروخ ("غبار السنين")، ومن طه حسين ("الايام") الى توفيق الحكيم ("زهرة العمر")، "سجن العمر" (...)، ومن نجيب الريحاني ("مذكرات") الى عباس محمود العقاد ("انا")، ومن عبد الرحمن بدوي ("سيرة حياتي") الى عبدالوهاب المسيري ("رحلتي الفكرية")، ومن نزار قباني ("قصتي مع الشعر") الى جبرا ابراهيم جبرا ("شارع الاميرات")، ومن بريم التونسي ("مذكراتي") الى احمد فؤاد نجم ("الفاجمي")...

والقائمة تطول. لكن، وبالإسلاف، يمكن القول ان المذكرات الثقافية خفت غزارتها في العقدين الاخيرين، لبنانيا وعربيا، وان كنا سجلنا صدور تجارب لافتة مثل "السيرة الطائفة" لابراهيم نصرالله، مثلا. كما ان قامات شعرية مثل سعيد عقل ومحمود درويش مضت من دون تدوين سيرتها الكاملة، فيما يماطل شعراء كبار احياء مثل ادونيس في كتابتها. وسط هذا المشهد الشحيح، فاجأنا رفعت طريبيه، احد ابرز ممثلي جيله في المسرح اللبناني، بكتاب خاص جدا من ناحية الشكل والاسلوب، قياسا الى كتب السيرة التقليدية، عنوانه "رُفعت الستارة". رفعت هو آخر من كنا نتوقع منه اصدار مذكراته. فنادر ما كتب ممثل او ممثلة مذكراته في لبنان. ليت نضال الاشقر تفعل الان، ليت انطوان كرجاج يفعل. لو ان مادونا غازي فعلت، او رضا خوري، لاغنتنا تاريخ المسرح اللبناني الذي لا يزال غير مكتوب الى اليوم. ليس "رُفعت الستارة" كتاب مذكرات تقليديا. هنا اهميته وفرادته، بل شذرات عفوية تبدو قطعاً في بازل اكبر، على القارئ جمعها وترتيبها ليطلع منها بمحطات متكاملة في حياة بيروت الثقافية والمسرحية. شذرات تقدم للباحثين والمؤرخين مادة خصبة واضاءات مفيدة. نحن هنا امام نموذج فريد: هذا المبدع الذي عاش مراحل اساسية، كان شريكا فيها وشاهدا عليها من داخل الكواليس، يضع في تصرفنا مشاهداته وما عاشه وسمعته وخبره في هذا العالم الخاص والفريد الذي شكل مختبرا فكريا وفنيا للحدادة العربية. هنا تمحي الحدود بين المذكرات، والتدوينات، والسيرة الذاتية. تصبح الذات الشاهدة هي مصدرنا لقراءة التاريخ. يتقاطع المسار الشخصي، الخاص والحميم، مع المسار العام للحركة الثقافية، بوجوهها ورموزها. حكاياتها الصغيرة وخناقاتها ولحظاتها السحرية. لحظات اساسية من تاريخ مدينة ليست ككل المدن، مدينة تحتاج اليوم الى من ينعش ذاكرتها، ويحييها... هذا ما فعله بنجاح رفعت طريبيه.

لظرف ومناسبة (تطويب القديس شربل في روما عام 1977) لا عملا ابداعيا في مصاف "زردشت" و"ذكر النحل" وغيرهما...

□ هي اهم من كل هذه الاعمال التي ذكرتها لناحية الكتابة المسرحية. "شربل" ليست عملا ظرفيا. لو ريمون جبارة اراد استغلال النغمة الطائفية لاستقطاب الناس الى المسرحية، لكان ركز على مذابح 1860 التي عايشها شربل. لكن ريمون قدم شربل كفلاح من الارض، يمكن ان يكون مسيحيا، ويمكن ان يكون درزيا، او مسلما.

■ يتحلى المؤرخ رفعت طربيه بكثير من الموضوعية والانفتاح. فرغم انك كنت خلال الحرب في موقع محدد، الا انك تبدو قادرا على رؤية الاخر. مثال على ذلك، تناولك في الكتاب لظاهرة فنان استثنائي اخر هو زياد الرحباني الذي كان يجبر المحاربين في انطلياس على الاستماع الى برنامجه الاذاعي "بعدنا طيبين قولوا الله" خلال الحرب.

□ زياد الرحباني كان صديق الاب مارون عطا الله الذي هو رئيس دير مار الياس في انطلياس، وكان ينظر من منبر كنيسة ضد الحرب. كانت تربطه صداقة بزياد الرحباني قبل ان يهيج من المنطقة بسبب حيازته صور لبنين. ظل الاب مارون على علاقة به، وظل زياد يلحن لقداس الشباب في انطلياس الذي كان اهم شيء انجز في تلك الحقبة. كان زياد يلحن نصوصا ليوسف الخال والاب جان صادر وجوزف حرب وانسي الحاج مثل "الهي رفعت اليك يدك" وغيرها من الالاحان التي ضجت بها الكنيسة المارونية. من جهة، كان هؤلاء المحاربون يحبون زياد الذي كان يتمتع بشهرة وشعبية كبيرة، ومن جهة اخرى، يكرهونه لانه في المعسكر المقابل. في بيت الكتائب في انطلياس كانوا يديرون الراديو ويضعون سلاحهم جانبا ليستمعوا الى برنامج زياد، فتوقف المعارك على الجبهات، ثم يستأنفون القتال بعد انتهاء البرنامج.

■ ما جديدك؟

□ احضر لمسرحية "هاملت" التي ستعرض في 16 تشرين الاول في قبو "كنيسة القديس يوسف" في مونو، وستكون بتوقيع جيرار افيديسان.

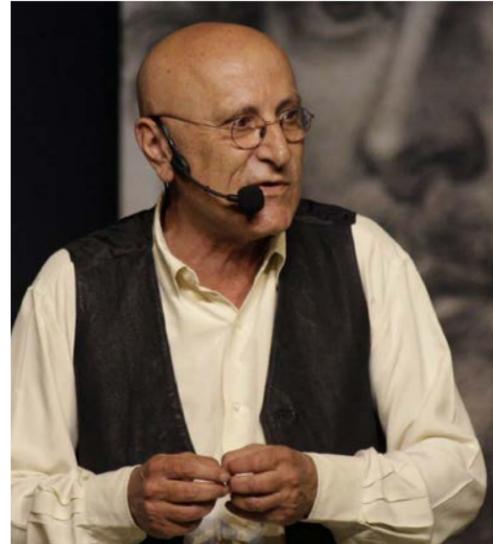
س. م



من مسرحية "صخرة طانيوس" باخراج جيرار افيديسان (1994).

كتابين هما "الرسولة..." و"ماذا صنعت بالذهب، ماذا فعلت بالوردة؟" (1970). اقمنا الامسية وتوزعنا الادوار بين رضا خوري وكميل سلامة وريمون جبارة، وبدأت الاصوات تطلع من هنا وهناك، وكان انسي يبكي طوال الوقت تأثرا. حتى يوسف الخال اندهش من ادائنا رغم انه كان يعلم بأمر الامسية.

■ سيستغرب بعض النقاد انك تعتبر مسرحية "شربل" (1977) لريمون جبارة منعطفا في مسار المسرح اللبناني، في حين ان كثيرين يعتبرونها تلبية



من مسرحية "طائر الفينيق" باخراج مروان الرحباني (2011).

□ يومها، كان انسي مشرفا على "النهار العربي والدولي" في باريس، ونحن تربطنا صداقة بانسي وبكل شعراء مجلة "شعر" من فؤاد رفقة وشوقي ابي شقرا وادونيس لان لهم علاقة بالمسرح بشكل او باخر. يومها، اصدر انسي ديوانه "الرسولة بشعرها الطويل حتى الينابيع" (1975). حين اتى انسي الى لبنان، قصدت انا ريمون جبارة لاسأله عن ديوان انسي، فقال لي ان الديوان اعجبه. اقترحت عليه مفاجأة انسي باقامة امسية شعرية له في بيت الحرير اي بيت منير ابودبس. وافق ريمون، واقمنا الامسية من



من "سهرة مع وليم شكسبير" باخراج جلال خوري (2016).

الاشوري. يبعث لكنه يعرف كيف يجمع حوله كبار الشعراء والكتاب والمفكرين العرب. ليوسف فضل كبير على الثقافة العربية، لانه قام بثورة في الشعر واللغة. اراد دوما تبسيط اللغة العربية كي تصير في متناول الكل ومواكبة لعصرها.

■ من يوسف الخال الى شريكه في مجلة "شعر" انسي الحاج، وقد ربطتك به علاقة وطيدة، كلاهما شاعر كتب وترجم للمسرح. حدثنا عن تلك اللحظة النادرة التي مسرحتم فيها شعره في "بيت الحرير" في الفريكة؟

"رُفعت الستارة"

كتاب رفعت طربيه "رُفعت الستارة" ("دار صادر") ليس تأريخا علميا للمسرح اللبناني، بل ومضات وشذرات من احداث ومشاهد وفصول عايشها، لكنها ايضا تشكل مجتمعة تأريخا عميقا لبيروت منذ السبعينات يوم اختار رفعت طربيه طريق التمثيل.

باسلوب الحكواتي السلس والمشوق وبلغته الحية الطالعة من رحم الناس، وبفصول صغيرة معنونة بالحدث، يكتب سيرة بيروت من خلال سيرته الشخصية التي تزدحم باسماء كرسى بيروت عاصمة ثقافية للعرب: انسي

■ هذا ما كنت تلوم منير ابودبس على عدم توافره في مسرحه؟

□ صحيح ان منير هو صانع الممثلين في لبنان، لكنه لم يكن ممثلا في حياته. ما يهمه هو الاجواء التي يريد ان يخلقها من العمل وبالطريقة التي يريدها، متجاهلا كليا الممثل.

■ رغم حيائك المسرحية الغنية، يمكننا ان نقول ان جزءها الاكبر مقترن بريمون جبارة. ما الذي سيبقى منه في الذاكرة المسرحية اللبنانية؟

□ تبقى نصوصه. ريمون ترك للمسرح اللبناني 11 نصا. انا استغل هذه المناسبة لاطالب وزارة الثقافة بطبع نصوص ريمون، وتوزيعها على طلاب المسرح، وترجمتها الى لغات العالم، لانني اعتقد بان هناك اكثر من عمل في مصاف المسرح العالمي، عدا ريمون الكاتب في جريدة "النهار".

في بعض مقالاته، هناك مشاهد مسرحية يجب ان تجمع. وفي المجال ذاته، اريد هنا توجيه تحية الى كميل سلامة وعمله الاخير "64" (قدم الشهر الماضي على خشبة "دوار الشمس" في الطيونة) الذي يجب ان يترجم الى لغات العالم.

■ لماذا اثرت في كتابك ان تسلط الضوء على خلافات ضجت بها كواليس المسرح اللبناني ومقهى الـ"هورس شو" الشهير في بيروت؟

□ لان الـ"هورس شو" لم يكن فقط مقهى، بل كان يلعب دور وزارة الثقافة. كل الامور الثقافية الاساسية وحتى السياسية كانت تحدث فيه وعلنا. اذا اردت ان تعرف ماذا يحدث في بيروت ثقافيا وفتيا، عليك ان تجلس في الـ"هورس شو". هناك ستعرف كل شيء من دون الحاجة الى شراء جريدة. هناك، ستسمع قصة خلاف بول غيراغوسيان مع آل بصبوس مثلا، وتشابك فلان مع فلان... ثرثرة على مستوى ثقافي عال، لا مجانية. كانت ديناميكية ومناخات بيروت تختصر كلها في الـ"هورس شو".

■ بين الوجوه الغزيرة التي تتناولها بأسلوبك في الكتاب كمحطات في هذا المسار الثقافي الخاص والعام في آن معا، يجب ان نتوقف عند قائمة كيوسف الخال. اذا طلب اليك ان تختصر هذه القائمة بجمل قليلة، ماذا تقول؟

□ يوسف الخال انسان طالع من التاريخ

■ مثل من؟
□ من المخرجين الذين تعاملت معهم، اذكر برج فازليان ويعقوب الشدراوي. كان ريمون يتكل على الاخرين لناحية الجمالية مثل الفونس فيليبس، وحتى منير ابودبس كان يتكل على فيليبس. كان الاخير هو الذي يمنح شاعرية المشهدة في المسرح، وكان يبصم اي عرض ببصمته. اما شكيب خوري، فقد كان يتمتع بعين جمالية مهمة جدا، وجيرار افيديسان ايضا. كل مخرج لديه ميزة، لكن ريمون هو عبقرى التأليف. كما انه في الاخراج متواطئ مع الممثلين وهذا امر جميل ومهم.



في مسرحية "زايد والحلم" (2008).